ابن القسيس قصة قس ويكفيلد التي ليست إلا حكاية عهد نشاته فى أسرته ، ثم يكتب تشارلز دكنز فى القرن التالى قصة صباه فى كتابه دافيد كوبرفيلد ؛ ثم تزدادالذاتية بروزا ويرفع الأدباءحجاب التخفى وينبذون الأسماء المستعارة ، فيكتبون قصص نشأتهم ومذكرات رجولتهم وينشرون رسائلهم وتراجمهم الشخصية ، والأدب الانجليزى المعاصر حافل بآثار هذه الذاتية السافرة

وقد امتازت بالذاتية الواضحة ، أو الأنانية الأدبية ، كثير من الأدباء الانجليز ، كانوا لا يملون التأمل فى نفوسهم والتحدث عن ذواتهم صراحة أو تحت غشاء شفاف : فلتون يعرض لكوارثه وعماه ومبادئه السياسية والدينية والاجتماعية فى ملاحمه الثلاث ، ووردزورث يؤلف المطولات الشعرية فى تصوير صباه وخواطره من طفولته إلى كهولته ، وبيرون ينظم القصيدة تلو القصيدة ويصور البطل تلو البطل ، ولا يزيد أن يتحدث عن نفسه وميوله وآرائه ، وشلى يسمى نفسه « اريل » باسم إله إغريقى ، ويكتب عن نفسه تحت ذلك العنوان أشعارا ، وكل من هازلت ولام يصور تصويرا دقيقا أميناً ما يحس عند خروجه للرياضة على الأقدام أو حين سماعه النواقيس تتجاوب مؤذنة بابتداء العام أو نحو ذلك

ومن جهة أخرى نرى أدباء من أمثال جراى وكولردج ورسكن يستترون وراء حجاب من الوقار والتفكير الهادىء الشامل ويتحدثون مصورين أو قاصين أو ناقدين ، عن غيرهم من رجال التاريخ والأساطير وأعلام الفن والأدب ، فأكثر آثار هؤلاء موضوعية ، وأكثر مؤلفات الأولين ذاتية ؛ كما كان من الأدباء من أخذوا من كلا الضربين بنصيب وافر ، ومن برزوا فى مجالى الشعر والنثر ، ومن أنهوا حياتهم الأدبية باصدار تراجمهم الشخصية ، ومن خلفوا فى النقد آثارا تبارى آثارهم فى النظم والانشاء ، أو تفوقها ، مثل دريدن وماكولى وماثيوارنولد

ويعد بعض المغالين تزايد هذه النزعة الذاتية فى الأدب الانجليزى علامة ضعف وانحلال ، ولا شك أن غلبة أحد العنصرين الذاتى أو الموضوعى على الأدب من دلائل نقصه ، وإنما يكون رقيه مقترنا برقى العنصرين فيه معا . يدل ما فيه من آثار الذاتية على صدق الشعور وعمق التأمل وتميز الشخصيات ، ويدل ما فيه من آثار الموضوعية على شمول النظرة واتساع أفق التفكير وتناول الادب لمختلف نواحى الحياة ؟

فخرى أبو السعود

« تصويب » جاء فى العدد الماضى ص ٥٠٩ س ١٥ : وأعدوا لهم ما استطعتم من عدة ، والصواب من قوة .

من مشاكلنا الحاضرة

ســـؤال ...

للأســـتاذ على الطنطاوى

كنت أسمع من أبى والأشياخ من أهلى أنه كان فى بلدنا — فيما كان فيها من أوقاف كثيرة — وقف على المشتغلين بالعلم والمنقطعين إليه . يفتحون لهم بريعه المدارس الواسعة ، ويُعدون لهم الغرف المفروشة ، ويهيئون لهم فيها المكتبات القيمة ، ويقيمون لهم الخدم ويقدمون إليهم كل ما يحتاجون إليه من طعام وشراب وحلية ومتاع ، ويفرّغون قلوبهم من كل هم إلا هم الدرس والبحث ، فكان الناس يرغبون فى العلم ، ويقبلون عليه ويبرزون فيه . .

. . . ثم ذهب ذلك كله بذهاب أهله . وخلف من بعدهم خلف أضاعوا الأوقاف ، وأكلوا أموالها ، فتهدمت هذه المدارس ، وأمست خرائب واطلالا . ثم سرقها الناس فحولوها بيوتاً ، وطمسوا آثارها . . .

فأعرض الناس عن العلم وزهدوا فيه ، فقلنا : لا بأس ، انها قد تتحول تلك المدارس الى دور عجزة ، وقد تصير أحيانا ملجأ كسالى ، ومأوى عاطلين ، وعندنا المدارس الجديدة ، تسير على منهج مقرر ، ونظام معروف ، وطريق واضح ، فما نحن إلا كمن أضاع درهما ووجد ديناراً . وأقبلنا على هذه المدارس ، إقبال العطاشى على المنهل الصافى . ومنينا أنفسنا بكل جليل وجميل ولكننا لم نلبث أن خرجنا منها . وواجهنا الحياة حتى علنا بأنها لم تقم بما كان يرجى منها ويجب عليها ... ووجدنا أننا لا نصلح فى هذه الحياة إلا لشىء واحد ، هو (الوظيفة) ؛ أما العمل الحرّ ، والمغامرة فى الحياة فنحن أبعد ما يكون امرؤ عنه ؛ ووجدنا سبيل الوظيفة مسدوداً وكراسيّها مملوءة ؛ وكيف لا تكون كذلك وكل الناس يسعى إليها ويريدها ؟ هل يكون أبناء الشعب كلهم موظفين ؟ فكنا واحداً من رجلين : اما الغنى الموسر

فعاش بمال أبيه . وأقام منه سورا حوله . فلا يرى الحياة ، ولا تصل إليه بآلامها ومصائبها . وأما الفقير فيتخبط فى لجة اليم : يمّ الحياة تضربه بأمواجها ، فلا ينجو من لطمة إلا إلى لطمة ، ولا يخلص من شقاء إلا إلى شقاء

وقد يكون فى هؤلاء الفقراء موهوبون ، وقد يكون فيهم ذوو الملكات ، وفيهم من إذا استراح من هم العيش واشتغل بالعلم برّز فيه وبرع ، ونفع أمته ووطنه وخلف للأجيال الآتية تراثا علميا فخما كالذى خلفه لنا الأجداد ... فماذا يعمل هؤلاء ؟ ومن أين لهم العقل الذى يدرسون به ، والهمة التى يؤلفون بها ، وعقولهم ضائعة فى البحث عما يملأ معِدهم الجائعة ، ويستر أجسادهم العارية ، وهممهم مصروفة إلى ضمان الكفاف ، والحصول على ما يتبلغون به ؟

لقد قال الشافعى رحمه الله منذ الزمن الأطول : لو كلفت شراء بصلة ، ما تعلمت مسألة ... فكيف يتعلم ويدرس ويؤلف من يكلف شراء الرغيف ، وشراء ثمن الرغيف ؟

إنى أعرف كثيرين ممن يؤمل لهم أن يبرعوا فى الأدب ، ويتفوقوا فى العلم ، قدر الله عليهم الفقر والافلاس ، وعلق بأعناقهم أسراً عليهم إعالتها ، والسعى فى إعاشتها ، فألقوا القلم والقرطاس ، ورموا الدفتر والكتاب ، وخرجوا يفتشون عن عمل ... يطلبون وظيفة : غير أن الطريق إلى الوظيفة وعر ملتو طويل ، لايقدر على سلوكه ، ولا يبلغ غايته ، إلا من حمل معه تميمة من ورق (البنكنوت) يحرقها أمام أبواب الرؤساء لتخرج شياطينها فتفتح له الباب . أو صحب معه (الشفيع العريان) وأين من هذين الشاب النابغ المفلس الشريف ؟ ثم إنه إذا بلغ الوظيفة وجدها لا تصلح له ولا يصلح لها ، وضاقت به وضاق بها !

أعرف كثيرين من هؤلاء يظهرون فجأة كتاباً مجددين ، وشعراء محسنين ، وعلماء باحثين . فما هى إلا أن تنزل بهم الحاجة وتنيخ عليهم (هموم الخبز) حتى تقطعهم عما هم فيه ، ثم تذوى ملكاتهم وتجفف قرائحهم وتتركهم يموتون على مهل ، ويموت بموتهم النبوغ ، وأرباب الأقلام وأصحاب الصحف يشهدون مصارعهم فى صمت وإعراض ، لا يهتمون بهم ، ولا يظنون أن عليهم واجباً تلقاءهم ، حتى إذا قضوا قاموا يطنطنون بذكرهم ويشيدون بمواهبهم ، ويركبون على قبورهم ليقولوا للناس : أنظروا الينا ...

هذه هى علة الشرق .

إنى عهدتك بعد الموت تندبنى وفى حياتى ما زودتنى زادى

ورحم الله القاضى عبد الوهاب المالكى ، خرج من بغداد — فخرج لوداعه عشرون ألفاً ، يبكون وينتحبون فقال لهم : ياأهل بغداد ، والله ما فارقتكم عن قلى ووالله لو وجدت عندكم عشاء ليلة ما فارقتكم ، وهم يبكون وينتحبون ويصرخون : إنه يعز علينا فراقك ، إننا نفديك بأرواحنا ، ياشوقنا إليك ! يا مصيبتنا بفقدك ...!

* * *

هذه هى المسألة ... أفليس هناك طريقة لانقاذ الدماغ من المعدة ؟ لانصاف العلم من المال ، لحماية النبوغ من الضياع ؟

من يشتغل بالعلم والدرس والكتابة والتأليف إذا كان — الفقراء لا يطيقونه ، والأغنياء لا يحسونه أكان لزاماً على من يشتغل بذلك أن يموت من الجوع ؟ ألا يستحق هذا المسكين بطريقة من الطرق ، بقانون من القوانين ، عشرين ديناراً ، ياخذها موظف جاهل خامل بليد ، لا يحسن شيئاً إلا النفاق والالتماسات والوساطات ، ولا ينفع الأمة معشار ماينفعها هذا الذى يذيب دماغه ، ويحرق نفسه ، ويعمى بصره ، وينفق حياته فى النظر فى الكتب ، والخط بالقلم ؟

أما فى ميزانية الدولة ، أما فى صندوق الجمعية ، أما فى مال الجريدة ، ما تشترى به آثار هذا الكاتب ، وأشعار هذا الشاعر ، — وبحوث هذا العالم ، بالثمن الذى يعدل ما بذل فيها . ليعيش فيصنع غيرها

هذه هى المسألة !

هل يجب أن يموت النابغ لأنه نابغ ، ويعيش الأغبياء والجاهلون ؟ أم يجب عليه أن يميت نبوغه ليعيش ، ويبيع عقله وذكاءه برغيف من الخبز ؟

(بغداد) **على الطنطاوى**